القنطرة بين ضفتي الدالية والبائية للشاعر الهندي
دراسة نقدية حديثة

الاستاذ الدكتور صدام فهد الاسدي

٢٠٠٨

قبل البحث

يقف الهندي متفردا بين شعراء عصره بما في شعره من تنوع وجمال وصف ورقة خاطر وصفاء طبع واجدني احترق بشعره افتنانابلمسات سحرية اخاذة خاصة فيض قصائدة السابحة في فضاءات اهل البيت(ع)

وربما يقف المتلقي متسائلا لماذا الهندي وقد ادركت على حد علمي القاصر ان احدا من اجداده قد ارتحل مغتربا للهند فسمي بذلك ولكن فيض القراءة في شعراء الغري كان ضالتي خاصة وقد اشرفت على رسالة ماجستير عن كربلاء قبل عامين افادتني كثيرا بالاطلاع على نتاجات الشاعر والفقيه والخطيب بل هو عالم لايسأل من هدف الا رضا الله ومحبة اهل البيت وقد اشتمل شعره على تاريخ شعري مشهور

صرخ النادبون باسم حسين وعليه لم تحبس الماء عين

وكان للتعدد فضاءات رحلات الشاعر دور في رصف القلادتين الشعريتين ضمن ستة وتسعين بيتا تستحق مدارات البحث في قوافل نقدية معاصرة فالاولى تنسج دمها من (٣٧)بيتا اسميها المحمدية والثانية تنسج نبضاتها من(٤٢ بيتا) اسميها الحسينية(لم انسه اذ قام فيهم خاطبا)ودعني اسمي قلادته خطابية الحسين

انزياحات الاستهلال النقدي

لا ارسم في الدائرة النقدية ذاتي مطلقا كي اسمى مثقفا مجازا،ولا اخنق الذات في فراغات معلومات تتسرب عن الذائقة هنا وهناككأني جامع الحصى يريد ان يرسم نفقا في مهب الريح ،ولا اخلق جناحا فناسيا يسقط عند ذوبان الحرائق

واستداد اللهب لثقافة ضيقة كي تصفق لها الايدي بنجاح او فشل فهذه من تداعيات الخطاب البائس ،وكأني اقدم معطى فكريا يبتعد عن اصداف البحر ويحاول البحث عن الدر حتى اذا كنت متيقنا بعد الوصول ابدا
ودعني لا ارسم في الهواء دوائرا دون جدار حذر فالكتابة المدبجة بالطقوس فارغة العدمية لاتخرج من مكانها القلق،وقد لا افترش الشعر سبيلا ومنشورا سريا خوف اللائمة من احد فالشعر كالهواء مباح للمتلقي وعليك ان تغلق اذنك او تطلق لرغبة سمعك الريح،والفهم عصي حينا على قاريء متذوق ممارس لتجربة القراءة المتعبةوهل لي ان ارسم معرفة بريئة تبثها اصابع شاعر تقي قال كلمته وظل في ذاكرة الاجيال نشيدا،وقد كانت اصابعه مبتورة في قيد السلطة والخوف من الجلاد وعدم السماح بالخروج الى شمس مشرقة تبتعد عن غياهب الجب المعتم،وكم اكره صادقا ان اتخذ من النقد حربا في المصطلحات والمفاهيم فالمعرفة النقدية كما تعلمون مازالت ارضا بكرا.وعلينا بزرع البذور في فضاءات الادب المفتوح ولا نضاعف الداء بتشكيل اشكالية تاخذ مساحة اكثر مما نعطيه للمبدع الهندي،واعترف مصيبا كلنا نحمل وعيا تكراريا من الطفولة حتى شبنا واين الابتكار فهل اسمي انفسنا بلوائح ومحاولات نقدية اما ثوب النقد فهو بعيد طويل على اجساد افكارنا ليتني اخوض الغماروالحق يسحبني كالعاصفة الى قرار مكين اسمه جادة الصوابوحتى ان طرحت رؤاي لبية فاقبلوني محبا مشاركا في تداعيات حرصكم على سفر رجل اعطى وترك الصمات الطيبة على فضاء العراق ولا اقول النجف حصرا فالفضاء المفتوح يبتعد عن البيئية المختنقة وكا يقول النقد(ان الثقافات لاتؤسس على اساس الاعراق بل العقول)وان المنظر البيئي يناقض جوهر العملية النقدية،ولست بهارب من فشل الساعة فقد احاول ان اسحب الصخر من جبل الصمت خير من النظر الى البقع الساكنة ،واخشى ان تقلب قنطرتي فاسقط منها انا والمهم ان يعبر الهندي قبلي وحسبي لن تموت صرخته مادامت صافية لوجه الله ولم تعد قصدتاه قطعا طافية تقذفها امواج النقد هنا وهناكبل ستنتهي في مسك الختام بشرف رفيع وذكرى تدق ناقوس النسيان

مجريات النقد في البائية والدالية

لماذا اسميت العنوان قنطرة فانت اعلم مني بان الرسول الكريم يقف على راس القنطرة وحين نبدأ العبور للضفة الاخرى نتخذ الحسين سفينة للضفة

الاخرى القيامة وقد امنا وصلينا وصمنا وزرنا البيت الحرام ولكن كيف العبور؟

لا اضيف جديدا اذا اسميت القصيدتين خالدتين فهما كذلك ولكن لماذا المحمدية اولا؟؟ وقد لبست القصيدتان منهجا سرديا يتطبع برؤى فكر مرتب لاتناقض فيه دالا على صفاء الذاكرة وحسن النية في الطرح الشعري،وبين الماضية(ارى الكون)والنور ينبثق في المطلع كي يسرب الحقيقة الى فضاءات ابعد

وكانك تقر؟أ النسخ تاريخا مرتبا على جسد قطعة قلبية ولا اقول شعرية وكفى فمابال الشاعر في تسعة ابيات يستهل تلك الرؤى التي رسمها الفكر والرواية ان صح الامر طريقا شرعيا لايختلف فيها اثنان ولكن لماذا يكرر الهندي هذه التأرخة ان اعرتم اللفظ قبولا؟ثم يجيب على ماتساءل عنه؟انظر قطاف هذا

ارى الكون اضحى نوره يتوقد لامر به نيران فارس تخمد

ثم ينطلق الجواب ليغلق دائرة القول

نعم كان يستولي الضلال على الورى فاقبل يهدي العالمين محمد

هذا بناء كبير يخلق في ذائقة شاعر قبل سبعين عاما ومازالت الحداثة طفلا وديعا في مسارب الغرب

واي ابتلاء هذا يرصفه الشاعر على قسمه الممض

لعمرك ان الحق ابيض ناصع ولكنما حظ المعاند اسود

انرى الشاعر جامعا بين الابيض والاسود لا والف لا انه يرصف جدلية النور امام المقارب المخالف معه الظلام

ثم تترتصف التقابلات علنا في تكرار رائع وبتساؤلات فكرية تتطلب الاجابة منا لا من السامع له وهذه ديمومة النص الشعري لايموت بقراءة واحدة

وهاجر ابا الزهراء عن ارض مكة وخل عليا في فراشك يرقد

الم نقف ونسال لماذا يطلب الهجرة وقد تمت اهو استرجاعات الذاكرة ام دوران في رصف الحدث ام تعظيم لموقف الامام في المبيت ،كل هذه الاحتمالية صحيحة للمتلقي نختلف في صواب ونتفق في خطأ لاشائب من مدركات التصور مادام الامر صحيحا امس نقوله اليوم وغدا نحلم به الساعة والا كيف يطلب ان بقرب من نص قرآني ليقول

ابا القاسم اصدع بالرسالة منذرا فسيفك عن هام العدى ليس يغمد

وربما السيف كناية للدين الحنيف العظيم الاسلام وقد تاخذ الشاعر انقطاعات المحبة بالتكرار قائلا مرتين

عليك سلام الله ياخير مرسل اليك حديث العز والمجد يسند
ثم بعد خمسة ابيات يقول
عليك سلام الله ما قام عابد بجنح الدجى يدعو وما قام معبد
ولعل الدعاء في الثاني يضع مساحة الفرق الدقيق عن الاول الذي غاص في تداعياتالسلام الابدي والصلاة على الرسول وكلاهما نهران دافقان بالايمان

وقفات في اسلوبية النص
ليس يعنينا هنا ان نلمس الطباق او غيره هدفا فكل هذه الاشكال تؤدي بنا الى خدمة المعنى والمهم عندنا ان نبحث عن دالات الرؤى في القصيدة
منها الاسماء ماذا تريد ان تقلد النص
وقارن مابين اسمه واسم احمد فجاحده لاشك لله يجحد
وهذه مقاربة قرآنية (ياتي نبي بعدي اسمه احمد)
وقوله
لامنة البشرى مدى الدهر اذ غدت وفي حجرها خير النبيين يولد
كم من الزمن مر وكلنا نعرف امنة اما للرسول لماذا الفد الكري بهذا العطاء المؤرخ انها دلالة الولادة والبشرى حيتين في الذاكرة ولم يغب الانجيل مبشرا عن النبوة وكذلك موسى(ع)
بسينا دعا موسى ،ثم سفر شعيا وهتافهم وقول المسيح
سانزله نحو الورى حين اصعد)وهذا النزول المرسوم في سجل الايام في ذاكرة البشر ثم وقوف المسيح(ع) في الصلاة خلف امام العصر
وكل هذه الدلائل يصرخ بها ليقر قدحته
لعمرك ان الحق ابيض ناصع
ليرد على الاحتمالات الدنيوية المتسربة من ضجيج فكر مظطرب
ومن فضاءات الراس وصراعات التساؤلات الهندية هذه نبدا العبور الى الطرف الثاني ولكن كيف نعبر بقدح الريح او بضربة ساحر لا بضربة شاعر متفوق في رسم الشعرعبر قوافل السطر وفي ٥٤ رحلة تنقسم الى قافلة الاستهلال بعشرة ابياتيبدا من حيث تنتهي الطف قائلا
او بعدما ابيض القذال وشابا اصبو لوصل الغيد او اتصابى

قل انه تقليدية جاهلية قل انها استهلال قديم قل انها من ابراقات العمود الشعري ان الذي يهمنا كيف نتذوق البيت دون لف ودوران في ارصفة النقاش والجدل الفارغين

ويمشي على خطوات الخلف راجعا الى الصبا فالبداية الكبر

هبني صبوت فمن يعيد غوانيا يحسبن بازي المشيب غرابا

واي وصف تريد واي غراب تذكر من شواهد العمر وبلاء الدهر وغضب السنين القادحة بالالم،ولم تتوقف القافلة عند هذا بل يستمر في خطاهحتى يصل بنا من رحلة الفكر المتعب والذاكرة المشغولة بهم الدنيا الى نجاح اخروي ينتهي بقوله

وذكرت حين رايتها مهجورة فيها الغراب يردد التنعابا

وقد يسفر السؤال متعبا ما الديار ؟واية ديار والاجابة عند الهندي

ابيات آل محمد لما سرى عنها ابن فاطمة فعدن يبابا

القافلة المشهدية الثانية

يرسم لها مساحة ستة ابيات متحركة

ونحا العراق بفتية من غالب) والثالث (ركزوا قناهم في صدور عداتهم)والرابع(تجلوا وجوههم)والخامس (وتنادبت للذب عنه عصبة) والسادس يكر وصف ابطال الطف المستعدين لملاقاة العدو انه وصف ملحمي رائع في مسارات تشكيل حربي وقتال مرئي دون خيال ولكن كم كانت الريشة الهندية متقنة للرسم وناقلة للصور